ولست الوحيدة في نجاحي والذي توقع لي لم يكن صدفة قادها حسن الحظ فقد ذكر العلامة المحقق الفرنساوي (ريني بلاش) في مشاهداته الطبية عن امهات كثيرات من الطبقة الوسطى والعالية من الهيئة الاجتماعية في بلاده وقد نجحن في الرضاعة مثلي انا مع انهن لم يكن أحسن صحة ولا اكثر قوة مني

فعلى الوالدة اذاً ارضاع ولدها بنفسها اذا لم تكن لا سمح الله مصابة بالامراض المزمنة التي تمنع عن الارضاع فذلك أفيد لصحتها وأسلم عاقبة لطفلها

العائلة

وردتنا هذه الرسالة من قلم حضرة الاديب الفاضل والكاتب المجيد داود افندي بركات فاثبتناها بحروفها اقراراً بفضل كاتبها وهي :

قرأت « العائلة » فراقني منها المبحث العائلي وطالعت فصولها فشاقني الى ان ادلي دلوي بين دلائها واشاطرها يسير ما عندي من الكلام على العائلة الشرقية التي نراها فنخاطبها ونناديها فلا نجدها فنعود من مخاطبتها وكلنا قائلٌ مع الشاعر

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

أجل ان العائلة التي يريدها كتابنا العربيون في فصولهم ومؤلفاتهم هي غير ما يتمثلونها عند الكتابة. فهم يتوهمون حياتها وهي ميتة ووجودها الادبي وهي في حيز العدم فيتحون ارشادها وهي لا تعي ورفع شأنها وهي لا تشعر لان الله قد ضرب على سمعها وبصرها بل لانها كما قلت لا توجد وان وُجدت فكخطوط الراسم على القرطاس لما يريده من نقش صورة حسناء

فنحن اذاً ناخذ الاطلال بالديار . والتماثيل بالديار والوهم بالحقيقة . والتصور النفسي بالوجود الحسي فاذا كتبنا للعائلة نحاكي من يخط على صفحات الماء . واذا وعظنا العائلة ضارعنا من خطب في حجر الواد . وخاطب شجر الوهاد .

فالعائلة افراد يتألفون فيميل قويهم ضعيفهم ويتآلفون فيعلم عالمهم جاهلهم ويتآزرون فيساعد قادرهم عاجزهم ويتساندون فيعضد كبيرهم حقيرهم ويتقاسمون المعيشة عسراً ورخاء فيخدم الصغير الكبير ويتمثلون جسداً تطيع اعضاؤه الرأس فيلمها ويرشدها ويهديها ويشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص فيكون كل واحد منها ضرورياً لخدمة هذا الجسد وقوامه ويرتبط الجميع برابطة واحدة وهي الالفة والوئام والاتحاد .

وللعائلة حياتان حيوة مادية وهي متوفرة الشروط في العائلة الشرقية كسائر الامم متمدنة وهمجية وحيوة أدبية وهي مفقودة عندنا الا في النادر الذي لا يعد قياساً . ففقدان الحيوة الادبية هو فقدان العائلة بجملتها وفقدان العائلة هو ضياع الامة كما نرى في شرقنا .

والحيوة الادبية لا تنمو روحها في عائلة الا يوم يكون الاب معلماً بالقول والعمل الام والام معلمة للابن والجد معلماً للحفيد والحم معلماً للسبط والسيد للخادم والمولى للموالي والسيدة للحشم او بالعكس لا تعليم القراءة والكتابة كما يفهم الناس حتى الآن بل الفضائل والآداب . النشاط والحزم . الصدق والامانة . الجد والسعي . التآلف والتآزر . الغيرة والمروؤة . النزاهة والنفاف . الاقتصاد والاقتناع . التروي والاتقان . التبصر والحسبان . الاطاعة للاعلى والاستكانة للادنى

والحيوة الادبية لانتعش كيان العائلة الا يوم يعرف الزوج ان زوجته هي قسيمة حيوته وتعرف الزوجة انها وقف على قرينها ويعرف الاثنان انهما وقف احدهما للآخر والاثنان لابنائهما ومن اقتنى من مجموع العائلة فله مما يقتنيه مالافراد عائلته ومن علم فلهم من علمه مثل ماله وان صح فلهم من صحته وان اعتل فعليهم من علته وان اصاب فلهم من صوابه وان اخطأ فعليهم اصلاح فاسده

شركة هي العائلة لكل واحد منها ما للآخر . مدرسة هي العائلة يعلم عالمها جاهلها . وحدة هي العائلة تجزؤها ضياع كيانها . جسد هي العائلة له العين الناظرة كما ان له اليد العاملة والرجل الساعية والاذن السامعة والمعدة الهاضمة والكتف الحاملة والبصيرة الباصرة والصدر الواعي والقلب المحيي . والحلق المتنفس والفم الماضغ فقعود عضو عن العمل ضياع - كما قلت - لمجموع الاعضاء

فاذا بحثنا عن مثل هذا الجسد بين عائلاتنا لانجده ولو كان موجوداً لرأيناه فنحن افراد نساؤنا كسالى لاجلهن القراءة والكتابة - كما يزعمون - بل لانهن لم يرثن النشاط عن الامهات ومبذرات لانهن لم يتعلمن الاقتصاد صغيرات . جاهلات لانهن لم يتربين في المدرسة أي العائلة . فهن اناث لازوجات كما ان رجالنا ذكور لازواج .

فانا لاأجد اذاً عائلة أخاطبها بل أجد افراداً وهؤلاء الافراد وحدهم قادرون على تأليف العائلة لابتعليم الناس العلوم ولا بتدريس البنات والصبية علم الفلك والنجوم فان ذلك لايكون ولن يكون وان كان فلا يفيد عاجلا بل بعد مضي الاحقاب والقرون بل بتعليم الام شؤون منزلها والابنة

امور بيتها والفتى واجب الرجال . اي نعم الى افراد الامة العالمين بدائها نطلب الدواء اذ على كل واحد لامته ماعلى الرجل لعائلته فالجار لجاره والصديق لصديقه . فكتابي لوكانت للامة بجملتها لضاعت ضياع مخاطبتي القمر لأن قراء كل مجلة وصحيفة عربية لايتجاوز عدداً معلوماً وهذا العدد ليس بالأمة ولكن بهذا العدد يرجى صلاح الامة اي نعم ان بالعقلاء يصلح فساد الجهلاء فالعاقل بين قوم يجب ان يكون مرشداً ومعلما ورسول المدنية والحضارة وبشيراً لايكل ومهذباً لايمل فاذا علم ذويه خزن في صدورهم كنزاً اجل واكرم من انفس الكنوز لانه لايفنى ولاينفذ ويتوارثه ابناؤه الى ماشاء الله وينفقون منه بين الناس ويتبرعون عليهم بدرره وقد قالت الامثال . الصيت الحسن خير من المال المجموع . والصيت الحسن لايكون الا من حسن التربية

واذا علم جاره وجارته وهبهما اعظم هبة واذا علم خادمه اكتسب نشاطه وامانته واذا علم ابن وطنه رباه رجلا لايستحي به ولا يخشى شر جهله فاذا بثت هذه الروح في عقلاء الامة جعلوا البلاد كلها مدرسة وهم المعلمون ولا تمر سنوات الا وقد ذهب الداء الذي تتحرق من المه مضضاً وتتفطر من مرارته تمرمراً

انظر الى فضائل الاولين تعلم انهم لم يتلقوها في المدارس انظر الى شهامة العرب التي لاتزال مغروسة في صدور بعض قبائلهم الى اليوم فهم لم يتعلموها في الكتب ولم يطلعوا عليها في المؤلفات بل تلقوها من عقلائهم القدماء فتوارثوها جيلا بعد جيل حتى اليوم انظر الى نشاط الافرنج فانهم لم يتلقنوه من الكتب بل من التربية العائلية يوم لم يكن بينهم كاتب ولا

حاسب . انظر الى خبث العبيد الاميركان فان العلم بالكتب لم ينزع من صدورهم اللؤم والتوحش بل انظر الى بني اسرائيل فموسى دينهم كان الدغا لم يتلق شريعته من علماء زمانه انظر الى الامم النصرانية تجد انها تعلمت وتهذبت ولانت خشونتها بالرسل والمبشرين لا بالمدارس والمدرسين انظر الى الأمة الاسلامية فان قدماءها من الاميين ومع ذلك لا تزال ذكرى فضائلهم تردها كل شفة ولسان .

انا لا انكر فضل المدارس وقراءة الكتب ولكن لا ارى بلوغ الامة الغاية من هذا المنهج الا بعد الاجيال البعيدة اي يوم يصبح كل فرد عالماً به وكل شخص يحسن القراءة والكتابة فلا بد اذاً لنا من ثلاث مدارس: امية معلموها عقلاء الامة . وعائلية ومعلموها عقلاء العائلة . وعلمية وهي التي تعلم القراءة والكتابة واهمها المدرستان الاوليان واهم معلميها يجب ان يكون الرؤساء الدينيون لان صوت الدين اوقع في قلوب العامة من صوت التأديب العالمي ولو كان ذلك لا يمنع هذا

واضرب لذلك مثلا واحداً وهو ان الزار بدعة في هذه الديار من عرف تطرف النساء بها عرف بدعة تهدم صروح كل دين وقد مضى على الجرائد سنوات وهي تكتب الفصول الطوال عن ضرره فلم يلتفت اليها أحد ولم يعبأ باقوالها واحد فلو قام رؤساء الدين وشددوا النكير على أصحاب هذه البدعة وخطأوهم ودنسوهم قولا وفعلا لما رأيت اليوم في مصر امرأة واحدة تتجرا على ذكر اسم الزار فاهمال رؤساء الدين تهذيب الامة وارشاد العائلة الى واجب كل فرد من افرادها ذنب لا يغتفر

وقد المعت الى هذا الموضوع الماعاً وهو يحتمل الافاضة لاني لم

اقصد سوى بيان فساد القول بوجود العائلة الشرقية والعمل ، العائلة ، ورصيفاتها يجدن بنصائحهن عائلة عاقلة حكيمة اذا نوديت اجابت واذا خوطبت هبت سليمة صحيحة باذن الله

﴿ لماذا نتأخر ؟ ﴾

(لحضرة الكاتب الاديب صاحب الامضا)

يتساءل كلٌّ منا عن سبب تأخرنا وما الداعي اليه وما من أحد يجيب بجواب واف حتى نصلح خطئنا ونسير بالطريق المستقيم وقد ولج قبلي كثيرون هذا الباب وكلٌّ يدعي انه أصاب بما أجاب ولكن الحقيقة متوقفة على البحث والتنقيب بكل ما يكتب على المجلات عن سبب خمولنا هذا واستهزاء الغربي بنا واستيلائه على بلادنا وممتلكاتنا ولذلك احببت ان اضم صوتي لهؤلاء الكتاب الاماجد واوضح ما عنّ بفكري القاصر من بعض ملحوظات اراها لو روعيت حق رعايتها لأتت بصالح يعود نفعه علينا جميعاً واليكم أيها السادة حديثي

تعلمون أيها الافاضل ان الواحد منا لا تتولد فيه محبة الوطن ما لم يكن متعلماً لان بالعلم يتنور عقله ويعرف ما له وما عليه وبالعلم يبلوغ الآمال حقيقةً والنهوض من الخمول المتسلط علينا ولكنْ بكل أسف اقول ان العلوم في بلادنا هذه الى الان لم تصل للدرجة المطلوبة . نعم لا انكر فضل المدارس الاجنبية علينا من حيثية التعليم ولكن أقول ولا اخشى لومة لائم ان تعاليم هؤلاء الافاضل ليس لمنفعتنا فقط بل بالاكثر لمنفعة بلادهم حيث التلميذ يتشرب بمشربهم ويتخلق باخلاقهم فان كان عند الآباء اليسوعيين